



اسم المقال: الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة

اسم الكاتب: أ.م.د. مهدي صالح حسن

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/286>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/25 02:39 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسية جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.





الديمقراطية واعداء بناء المواطنة

ا.م.د. مهدي صالح حسن (*)

المخلص

تعد الديمقراطية الركيزة الاساسية التي تعتمد عليها الدول المتطورة في الحك ، ولم يعد الكلام عنها والبحث فيها ترفاً فكرياً، او اطروحات في جلسات وسجلات حماسية، لقد اصبحت حاملاً مهما لمعظم المشكلات التي تواجه المجتمع وانظمة الحكم . واخذت امتدادها الواسع في الاوساط الفكرية والثقافية ، لكن غاية الوصول اليها بقيت في اجواء الطموح ولم تتجسد لا في الواقع الاجتماعي ولا في الواقع السياسي بالشكل المطلوب والمتعارف عليه، لاسيما في دول عالم الجنوب كما يحب بعض المفكرين . والعراق من بين تلك البلدان فمنذ استقلاله عام 1921 ان يطلق عليها هذه التسمية، والعراق الذي خضع العراق لانظمة شتى بعضها ادعى الديمقراطية والبعض الاخر ادعى تمثيل الجماهير وطموحاتها، الا ان مفردة الديمقراطية غابت عنه لسنين طوال، وراودت العراقيون احلام شتى بعد عام 2005 حيث جرت اول انتخابات متنوعة في البلاد، وان لم تشارك فيها فئات واسعة من الشعب العراقي . لكن مع ذلك عدها البعض بانها خطوة على الطريق.

والديمقراطية قطعاً لا تعني مجرد اجراء انتخابات برلمانية او رئاسية ، وانما ما ينبثق عن هذه الانتخابات، هل هو بروز نظام متكامل الابعاد يكون بديلاً حقيقياً وجيداً لما سبقه من انظمة فردية او شمولية، هذا النظام يتمثل في احترام ادمية المواطن ويكون مؤسسات ضامنة لحقوقه، مكرسة في دستور ضامن لتلك الحقوق والمعين للواجبات لجميع المواطنين حكماً ومحكومين.

(ان هذا الموضوع) الديمقراطية والمشروع الوطني في العراق يحمل ابعاداً مهمة كما ينوء باثقال تعكر مزاج المجتمع، حتى اصبح هاجس الديمقراطية ليس كمفهوم او مصطلح وانما كمارسات سياسية من قبل الذين تم اختيارهم الى البرلمان او الذين شكلت منهم الحكومة . فمنذ عام 2005م ولحد الان، والعراقيون يجاهدون من اجل ايجاد نظام مستقر يكون المشارك فيه ممثلاً لجميع افراد الشعب، وليس ممثلاً فقط لحزب او مذهب او طائفة . واثار الوضع الامني غير المستقر على مجمل الاوضاع

(*) كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.



الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة

الاقتصادية والسياسية والثقافية. حتى ان البعض اطلق على الديمقراطية في العراق بالديمقراطية المشوهة او الديمقراطية الشقية، لان الانتخابات التي جرت في ذلك العام لم تقم على اساس المواطنة وانما على اساس الطائفة او الحزب او العرق والمذهب كما شابتها الكثير من الخروقات . لكن ما هو الحل لمواجهة ذلك؟ وما هي السبل التي يجب ان تتوفر لترسيخ الديمقراطية، وبالتالي ايجاد نظام مؤسستي ينطلق من وضع المجتمع وتنميته في مقدمة اهدافه.

The Democracy and the Reconstruction of the Citizenship

This research includes the principles of the democracy, and to which extent it can contribute in establishing these principles. Democracy is not only to hold parliamentary or presidential elections but also the result of these elections wills it lead to the emergence of an integrated regime that can actually expresses the citizen's rights and to which extent those citizens can contribute in that regime and control it. Since 2005, when the first elections took place in Iraq after the US occupation of Iraq 2003, Iraqi people are looking to a rule that represented them and achieve their interests after getting rid of the totalitarian regimes and establishing an institutional regime that work by democratic means in order to achieve the social, economic and political development

This research will be presented as following:

- 1- The citizenship is the base of the democracy
- 2- The democracy and the reconstruction of the citizenship
- 3- The building of the economy and investment in the democracy

المقدمة

تعد الديمقراطية الركيزة الاساس التي تعتمدها الدول المتطورة في الحكم, ولم يعد الكلام عنها والبحث فيها ترفا فكريا , او اطروحات في جلسات وسجلات حماسية, لقد اصبحت حاملا مهما لمعظم المشكلات التي تواجه المجتمع وانظمة الحكم. واخذت امتدادها الواسع في الاوساط الفكرية والثقافية, لكن غاية الوصول اليها بقيت في اجواء الطموح ولم تتجسد لا في الواقع الاجتماعي ولا في الواقع السياسي بالشكل المطلوب والمتعارف عليه, لاسيما في دولنا العربية ومنها العراق.

والعراق الذي خضع لانظمة فردية وشمولية غابت عنه هذه المفردة سنين طوال وراودت العراقيون احلام شتى بعد عام 2005 حيث



الديمقراطية واعداء بناء المواطنة

جرت اول انتخابات متنوعة في البلاد, وان لم تشارك فيها فئات عريضة من شرائح الشعب العراقي. لكن مع ذلك عدها البعض بانها خطوة على الطريق .

والديمقراطية قطعاً لا تعني مجرد اجراء انتخابات برلمانية او رئاسية, وانما ما ينبثق عن هذه الانتخابات, هل هو بروز نظام متكامل الابعاد يكون بديلاً حقيقياً وجيداً لما سبقه من أنظمة فردية او شمولية, هذا النظام يتمثل في احترام آدمية المواطن ويكون مؤسسات ضامنة لحقوقه, مكرسة في دستور ضامن لتلك الحقوق والمعين للواجبات لجميع المواطنين حكماً ومحكومين.

ان هذا الموضوع (الديمقراطية والمشروع الوطني في العراق يحمل ابعادا مهمة كما ينوء باثقال تعكر مزاج المجتمع, حتى اصبح هاجس الديمقراطية ليس كمفهوم او مصطلح وانما كمارسات سياسية من قبل الذين تم اختيارهم الى البرلمان او الذين شكلت منهم الحكومة. فمنذ عام 2005م ولحد الان, والعراقيون يجاهدون من اجل ايجاد نظام مستقر يكون المشارك فيه ممثلاً لجميع افراد الشعب, وليس ممثلاً فقط لحزب او مذهب او طائفة. واثر الوضع الامني غير المستقر على مجمل الاوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية. حتى ان البعض اطلق على الديمقراطية في العراق بالديمقراطية المشوهة, لان الانتخابات فيها لم تقم على اساس المواطنة وانما على اساس الطائفة او الحزب او العرق والمذهب كما شابتها الكثير من الخروقات. لكن ما هو الحل لمواجهة ذلك؟ وما هي السبل التي يجب ان تتوفر لترسيخ الديمقراطية, وبالتالي ايجاد نظام مؤسساتي ينطلق من وضع المجتمع وتنميته في مقدمة اهدافه.

ولكي تكون الديمقراطية سلوكاً للجميع... ويكون الهدف الحقيقي هو البحث عن حقيقة ما يجري في البلاد, وسبر غور حقيقة المشكلات من اجل معالجتها بدون سلبيات قد تضر بمصلحة البلاد: هذا يتطلب:

اولا الاعتراف بحقيقة ان العراق يعيش ازمانات مركبة هي ليست بنت الواقع الحالي وانما لها امتدادات زمنية مختلفة, الا ان اكثر الازمانات استفحالا هي الازمانات السياسية التي وظفت بشكل سيئ من قبل بعض الجهات والمصالح وقد استفحلت هذه الظاهرة بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003, واسقاط الدولة العراقية بجميع مؤسساتها, واستلام الحاكم المدني الامريكي بول برايمر لزام السلطة في العراق والذي قام بالاجهاز على كل مؤسسات الدولة لاسيما الاجهزة الامنية, وتم تدمير البنى التحتية للدولة العراقية. ولم يقتصر الامر عند ذلك وانما قد تم اقرار



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

التدمير الممنهج وتثبيتته في بنود دستور 2005م الانانية والحزبية وهذا ما سيتم التطرق له لاحقا, وقد دفع المجتمع بجميع اطيافه ثمنا باهضا ولم يزل ولمعالجة هذا يتطلب وبإصرار تغليب المواطنة على جميع التفرعات الضيقة, سواء اكانت حزبية سياسية او عرقية او مذهبية. فيجب اعتبار المواطنة مصدرا للحقوق ومناطاً للواجبات . وهذا المبدأ هو القادر على ضبط الصراعات و يتوقف ذلك على انبثاق دولة المواطن التي ستكون ضابطة للصراعات ومعالجة لطرق حلها .

ثانيا: الوضع الاقتصادي: ان الاقتصاد العراقي اقتصاد مأزوم وغير سليم لانه اقتصاد ريعي يعتمد على سلعة احادية هي النفط, والنفط سلعة متذبذبة الاسعار , وهذا يعتمد على العرض والطلب في الاسواق العالمية, فضلا عن تأثره بالمواقف السياسية الدولية التي قد تتدخل لاجهاض ما يتأتى منه من فوائض مالية, كما جرى في الهبوط الحاد لاسعاره في بداية عام 2015م, بحيث ادى الى فقدان 40% من قيمته. كما ان النهب المستمر لهذه المادة من قبل عصابات محلية ودولية مما تسبب في خسائر فادحة للاقتصاد العراقي, وهذا يستدعي إعادة هيكلة الاقتصاد العراقي واتخاذ اجراءات حازمة لوقف عمليات, هذا ما سيتم بحثه لاحقا.

ثالثا: الدستور: يعد الدستور الوثيقة القانونية العليا في البلدان الديمقراطية, فلا بد ان يكون كذلك في العراق, بعد ان تشذب المواد مثار الخلاف والمواد التي هي بحاجة الى تشريع قانوني , لكي يكون هذا الدستور حاكما للجميع والذي يتضح من خلاله مبدأ المساواة, وقرار مبدأ المواطنة, واستقلالية السلطات. والاعتراف بحقوق الاقليات مع عدم الاضرار بالوحدة الوطنية.

رابعا: اطفاء الحرائق المشتعلة هنا وهناك جراء عوامل داخلية واخرى خارجية وهي تفسر العجز الديمقراطي في البلاد . كما انها تدل على ان الحوار العقلاني قد تم ركنه جانبا , وفسح المجال للايدي ان تعمل دون ادراك خطورة ذلك على مستقبل البلاد. والارهاب الذي يتعرض له العراق كان المفروض منه ان يوحد العراقيين لحماية بلدهم من الاعداء المتربصين به.

ان الديمقراطية غير المشوهة والتي تتناسب والوضع في العراق هي البلمس الشافي لجروح العراق وهي المشروع الوطني الافضل والسلاح الامضى لتعزيزه , فالمواطنون . هم القوة الضامنة لبناء عراق قوي معافى يكون وطنا للجميع .

فرضية الدراسة:



الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة

ونحن اذ نطرح الفرضية التالية: نقول انه على الرغم من طرح بعض الاحزاب والتيارات السياسية الاسلامية والعلمانية, للديمقراطية كمنهج في برامجها السياسية عند تصديها للعملية السياسية, وخوض ثلاث دورات انتخابية وما تمخض عنها, الا انها لم تضيف شيئا مهما سواء لبناء مؤسسات دولة ديمقراطية او اتخاذ الديمقراطية كسلوك حضاري في التعامل السياسي. فلم تتعزز هوية العراق الوطنية ولم تزل غائبة عن المشهد السياسي والاجتماعي, واهدرت المليارات من الدولارات ولم يزل الاقتصاد العراقي مشوها, والخدمات دون المستوى المطلوب وترهل الجهاز الاداري, وغياب الشفافية في التعامل السياسي والاقتصادي وهذا ما سيتم تناوله في هذا البحث.

إشكالية الدراسة :

ان دوامة العنف والاحتراب السياسي في البلاد, تجعل الباحث في موضوع كهذا يخشى كثيرا عند ولوجه, ليس خشية من التعرض لمضايقة او نقد, وانما الخشية ان يصب الزيت على النار, فقد تعده جهة من الجهات انه موجه ضدها.. وتستثار او قد يتجرعه البعض بمرارة, وهذا ما نخشاه, لكن هدفنا اسمى من كل ذلك بكثير لان المنابر كبير, حيث يعاصرنا هذا الالم كل يوم ونحن نرى بلادنا تتراجع بينما غيرنا يتقدم. فهل تشكل الديمقراطية محملا جادا في رؤى ومناهج المتصددين للسلطة في العراق؟

وماهي امكانيات نجاح النخب العراقية لمعاونة الحكومة للوصول بالبلاد الى شاطئ السلام واعدادة اللحمة الوطنية.؟
 ما هي السبل التي تجعل العراق يسترجع عافيته, ويصحح مساراته؟ هذا ما ستحاوله هذه الدراسة الاجابة عليه.
 ومتى تغادر الدولة العراقية مسألة تمثيلها بجزء معين في المجتمع وتتحول الى دولة جامعة عابرة للطائفية والعرقية؟
 المواطنة اساس الديمقراطية.

المواطنة هي مجموعة من الحقوق والواجبات وهي التعبير عن العلاقة بين الفرد والدولة وتعد المواطنة من المفاهيم الحديثة على الرغم من استخدامها منذ القدم لارتباطها بمفهوم الدولة. (1)



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

والانسان يرتبط بالمدينة ليس كارض وانما كهينة جماعية تجمع بين اعضائها وحدة تاريخية ونمط من العبادات والشعائر الدينية فالانسان كما يعرفه ارسطو (بانه يبدو كحيوان مدني وليس كحيوان اجتماعي لان الحيوان يمكن ان يكون اجتماعيا بمعنى ان يعيش ضمن جماعة او قطعان , اما الانسان فهو وحدة سياسية اذ انه يعيش في التنظيم الجماعي الذي يشكل للحاضرة , التي تعد ضرورة طبيعية له ومثال اخلاقي.(2) ومن المعروف ان الفكر السياسي اليوناني يعد المواطنة وظيفه بذاتها فعلى الشخص ممارسة هذه الوظيفة عن طريق المشاركة في الامور العامة لدولة المدينة .

اما الموسوعات العالمية فقد عرفت المواطنة بانها اكثر اشكال العضوية في جماعة سياسية اكتمالا.(3) وعرفت موسوعة اخرى اي المواطنة بانها : علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة بما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق وتدل ضمنا على مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات صفة المواطن.(4) اما الموسوعة السياسية العربية قد عرفت المواطنة بانها (صفة المواطن الذي يتمتع بحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتمائه الى الوطن اهمها واجب الخدمة العسكرية وواجب المشاركة المالية في موازنة الدولة , فهي بالمعنى السياسي تعني الحقوق التي يتمتع بها المواطن في نظام سياسي معين كحق الاقتراع بوصفه عضوا في المجتمع السياسي الذي هو المدينة (5) .

وعلى ذلك فان المواطنة هي حقوق وواجبات فالمواطن هو الشخص الذي له حقوق التصويت وتولي المسؤوليات السياسية والتمتع بالمساواة امام القانون والحق في الحصول على الامتيازات وفي المقابل فهي تعني اطاعة القوانين ودفع الضرائب والدفاع عن الوطن . (6)

ولا يمكن ان تقوم ديمقراطية بدون مبدأ المواطنة حتى يتمكن جميع الافراد دون تمييز في اختيار حكاهم والمشاركة في الحياة الديمقراطية كما يذهب الى ذلك الن تورين.(7) وان عدم المساواة بين المواطنين يؤدي الى عدم اهتمام الافراد بالمصالح العامة وابتعادهم عنها, فالديمقراطية الحقيقية تتطلب المساواة بين الافراد جميعا, اذا فالديمقراطية هي دولة المواطنة حيث الكل متساوين امام القانون, اي ان المواطنة هي احدى المرتكزات التي تقوم عليها الديمقراطية, فالديمقراطية لا تكون ديمقراطية حقيقية من دون مبدأ المواطنة ولا يمكن ان تكون هناك مواطنة حقيقية في نظام غير ديمقراطي كما تعد المواطنة رابطة التعايش السلمي بين افراد



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

يعيشون في زمان ومكان معين اي في جغرافية محدودة، وتشكل المواطنة احد الاسس التي تقوم عليها البنى التحتية في دولة المؤسسات ومجتمع القانون فهي الالية في الحد من الصراعات الاثنية والدينية والطائفية على قاعدة مبدأي عدم التمييز والتهميش بين الافراد والمواطنة هي انتساب وراثي على ارض معينة . (8)

ويرى (الكواري) ان الوطنية تعني ان يكون المواطن مع وطنه في محنته كما كان وطنه معه في سرانه فالوطنية هي التي انتصرت كلما تعرضت الاوطان الى المحن وستظل طوق النجاة كلما حاقت بالانسان والاطوان الازمات المدمرة . (9)

ومما لا شك فيه ان المواطنة هي التي تعزز الوطنية لدى الافراد لانها ترتكز على الولاء والاحتماء، فالمواطنة الحقيقية وحصول المواطن على حقوقه تعزز الوطنية لدى الافراد لان الفرد عندما يحصل على حقوقه دون تهميش سيحب وطنه ويدافع عنه.(10)

وحقوق الوطن هي حقوق انسانية ووطنية لا يمكن مصادرتها لانها ليست منة من احد وهي اذا ليست نصوص ووثائق فقط او شعار ترفعه الدولة بل هي علاقة فرد بدولة في ظل قواعد قانونية ودستورية تحدده وتترتب على المواطن واجبات ازاء وطنه ومنها :

- 1 _ اداء الضرائب للدولة .
 - 2 _ الخدمة في القوات المسلحة والجيش .
 - 3 _ الالتزام بالقوانين التي تفرضها الدولة ويسنها ممثلو الشعب .
- اما حقوق المواطنة الرئيسية :

1 - المشاركة السياسية في السلطة بوصف المواطن عضوا في هيئة معينة فيها سلطة سياسية او بوصفه منتخبا لاعضاء الهيئة.(11)

2 - الحقوق المدنية وهي الحقوق التي تضمن الحريات الفردية وهي حرية الفرد وحرية التفكير وحرية الاعتقاد وحق الملكية الخاصة والحق في العدالة .

3 - الحقوق الاقتصادية وترتبط بحقوق الرفاهية والدخل الاقتصادي والحق في الثروة الوطنية وتهيئة الحياة الكريمة.

وعليه فان المواطنة تكون فاعلة وحقيقية في الدول الديمقراطية و وهشة وغير واقعية في الدول الاستبدادية.(12) اذا ان المواطنة هي جوهر التفاعلات الاجتماعية التي تحدد علاقة الفرد بدولته وهذه العلاقة تحدد بقانون يوائم بين الدولة والمواطنة فالديمقراطية هي الحاضنة الاولى لمبدأ المواطنة اذ تعني ان الشعب مصدر السلطات وتؤكد على مبدأ المساواة



الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة

السياسية والقانونية بين المواطنين بغض النظر عن الدين والجنس وغيرها من التمايزات وهي تتطلب المشاركة الفعلية في شؤون البلاد وفي جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دون تمييز او اقصاء للأفراد كما ان للجميع الحق في تولي الوظائف العامة والانتخاب والترشيح والمساواة في ادارة شؤونهم العامة وفي دولة المواطنة , فان الدستور هو الضامن وهو الذي يحدد العلاقة بين الفرد والسلطة وان الافراد هم نظراء بقدر ما هم سواسية امام القانون⁽¹³⁾.

ولمعالجة موضوع الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة في العراق فاننا سنبحثه وفقا لما يلي:

اولا : الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة في العراق .

ثانيا : العلاقة بين الديمقراطية وهوية الدولة .

ثالثا : بناء الاقتصاد .. استثمار في الديمقراطية .

الديمقراطية .. واعدادة بناء المواطنة في العراق .

يشكك كثير من المفكرين والباحثين في امكانية نجاح استنابات الديمقراطية في العراق , ومصدر تلك الشكوك لديهم مبعثها الحكومات او الدولة التي تمثل جزء من المجتمع العراقي العشائري والاثني والمذهبي المتعدد في البلاد .. مع تمسك هذه المسميات بمميزات ثقافية والاجتماعية , اذ بقيت عصية على الانصهار , او مغادرة مواقعها الخاصة ... والاتجاه نحو الاندماج بالوطن والمواطنة .

فلم يفض تاريخ العراق وعلى مدى قرابة قرن من الزمان من الحكم الوطني الى نشوء ديمقراطية او سلوك ديمقراطي راسخ في البلاد , او وجود دستور يحمي حقوق الافراد , ويعترف بالطابع الاثني والتعددي للدولة العراقية , او حتى في حالة وجوده فان اول الخارقين له هو السلطات الحاكمة .

وازاء ذلك ابدى بعض الباحثين والمفكرين تشككهم ازاء نجاح الديمقراطية في العراق , ومن هؤلاء اندرياس فيمرفي رؤية متشككة قلقة ازاء توطين الديمقراطية في العراق . حيث يقول: (ان بذور الديمقراطية ستجد صعوبة في النمو في تربة العراق الرملية)⁽¹⁴⁾ , في حين يتساءل دانييل بايمان: (ان كان مثال العراق الديمقراطي ممكنا اصلا , مشيرا الى ان هذه المسألة تثير قلقا شديدا بشأن توفر العراق على الشروط الضرورية اللازمة للديمقراطية , ويضيف بايمان الى ذلك صورة مأساوية من عناصر اخرى منها الانقسامات العميقة بين الطوائف وتزايد الدور الذي يلعبه الفاعلون الخارجيون في فرض نظام سياسي معين على البلاد)⁽¹⁵⁾.



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

الا ان ذلك يجب ان لا يدعو الى رسم صورة قاتمة واعطاء حكم مسبق بان العراق حالة ميئوس منها لان تلك الانقسامات لم تكن انقسامات ثقافية او اثنية حادة لاسيما بين عرب العراق (شيعية وسنة) انها انقسامات سياسية في الاساس فهناك قبائل قد قطنت في جنوب العراق وفي الاماكن المقدسة فيه فاصبحت بحكم البيئة (شيعية) فيما قبائل اخرى وقد تكون تفرعت من نفس القبائل الاولى الا انها استقرت في شمال وغرب العراق فاصبحت (سنية).

اذا فالتوتر الذي يغذي المشكلة الطائفية في العراق ليس اثنيا او ثقافيا بل هو سياسي في الاساس⁽¹⁶⁾.

ويرجع الشطر الاعظم من التوتر بين (الشيعية والسنة) في العراق لاسيما بعد حرب الخليج حول تحديد معنى الوطنية في البلاد. فضلا عن تغذية هذا الفكر من اطراف خارجية واخرى داخلية ذات مصالح خاصة لتدمير العراق والسيطرة عليه. ان الحرب العراقية الايرانية قد زادت في الشرخ الطائفي عبر اللغة المستخدمة في الاعلام, ولكن على الرغم من ذلك من الممكن بلورة صيغة متوازنة للمشاركة في السلطة⁽¹⁷⁾ من ممثلي جميع الاطراف للمجتمع العراقي.

وعلى الرغم من هذا التنوع غير المتجانس فانه يتحتم رفع مستوى الوعي لتخطي عقبات تقاطع الولاءات, فالمواطن عندما يشعر ان النسق الجديد يحترم ارادته ويضمن مصالحه ويؤكد ذاته. اي السعي لجعل الفرد كيانا مستقلا في الحقوق والواجبات والتعاون معه قانونا على هذا الاساس. والدستور العراقي الذي اقر بالتنوع, واشكاله الفكرية والمادية المتنوعة, باعتماد السياقات الدستورية في البلدان الديمقراطية. الا ان هذا الدستور لا يخلو من مثالب افضت الى مشاكل عديدة, طغت على الحياة السياسية لاسيما ما يتعلق بالمادة 11 الخاصة بصلاحيات رئيس الحكومة الاتحادية, والحكومات المحلية في المحافظات والاقاليم, وصلاحيات رئيس الجمهورية وتوزيع موارد النفط, والمادة 41 التي تخص قوانين الاحوال الشخصية والمادة 140 حول المناطق (المتنازع) عليها. فقد اصبح الدستور بصيغته الحالية سببا في اثاره الخلافات بين اطراف الشعب العراقي, بدلا من ان يكون مرجعية قانونية ملزمة لحل المشكلات والاحتكام اليه عند وقوع خلافات⁽¹⁸⁾ وربما تظهر هناك تناقضات واسعة بين المبادئ المعلنة والممارسات اليومية والتي غالبا ما تتخذ من المواد الدستورية وسائل التضليل السياسي للمواطنين.



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

ومهما يكن من امر فان العراق غير متجانس لادينيا ولا مذهبيا ولا عرقيا فان الديمقراطية تبدو ملائمة جدا، لكي تتضمن كل هذا الطيف المتشعب، اي وضع صيغ تلائم هذا التنوع في تركيبة المجتمع العراقي . بتوفير ارضية ملائمة لاقامة البناء الديمقراطي في البلاد . والنص عليها في الدستور كالتعددية السياسية والتعدد الاثني لان اقضاء التعددية من دائرة العمل السياسي معناه الانجراف نحو نظام الحزب الواحد الذي لا يؤمن بالتعددية . كما ان اطلاق التعددية دون نظام فاعل ومؤسسي سيفضي حتما الى تشويه المبادئ العليا المتوخاة من التعددية السياسية وتسهم الدولة ، التي هي اداة لخدمة المجتمع المدني كما يذهب الى ذلك الاستاذ مارسيل غوشييه ، من خلال وظيفتها في تأمين تعايش الغايات المتعددة في المجتمع المدني ، والسهر على ان لا تفرض اي واحدة منها نفسها على حساب الاخرى . والمجتمع المدني الذي هو عبارة عن المؤسسات والهيئات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ومجموعات المصالح التي تقوم بحمايته عن طريق النشاط في الحقل العام ، وتعمل على تحقيق المصالح المادية والمعنوية لأفرادها والدفاع عن هذه المصالح (19) .

وعند ملاحظة العمل السياسي في البلاد ، نرى ان الاحزاب المتنفذة في السلطة تستخدم طروحات التعددية السياسية دون جدوى فبعضها تستخدم هذه الطروحات للتغطية على ممارسات دكتاتورية قد تعمل بها سواء داخل الحزب او في التعامل مع خصومها السياسيين، مما ادى الى فشلها في تحقيق وحدة الهوية وغرس روح المواطنة او احداث تنمية مستدامة.

ويستطيع البرلمان ان يوفر قدرا من الانفتاح في الحكم ، وبما ان البرلمان يؤمن فرصة للتعبير عن عن الاراء والمصالح المتنافسة . ولا بد ان تؤدي بنية المناقشات البرلمانية ، وطبيعة الحوار ، وضرورة توفر درجة عالية من الخطاب المتزن وصولا الى (الاقناع) الى جعل البرلمان ميدان اختبار ويكون القادة قادرين على تعبئة الرأي العام وعلى تقديم برنامج سياسي مقنع من خلاله . ويوفر البرلمان ايضا المكان المناسب للتفاوض والتوصل الى حلول وسط محتملة (20) .

من شأن اي ديمقراطية ان تكون جديرة باسمها اذا امتلك المواطنون في ظلها قدرة فعلية على ان يكونوا مواطنين فعالين، اي اذا كانوا قادرين على التمتع بحزمة من الحقوق التي تتيح لهم فرصة المشاركة الديمقراطية على التعامل معها بوصفهم اصحابها. باعتبارها منتمية،



الديمقراطية واعدادة بناء المواطنة

ومتوحدة مع مفهوم الحكم الديمقراطي نفسه بالذات. انها احدى طرق تحديد شروط بنية عامة للفعل السياسي. واذا وقع اختيار المرء على الديمقراطية, فان عليه ان يبادر الى تفعيل نظام حقوق وواجبات جذري واجبات مترتبة على ضرورة احترام حقوق الاخرين المتكافئة وضمن تمتعهم ببنية نشاط سياسي عامة(21).

والديمقراطية تحمل وعد التحرر من الظلم. ولكن الديمقراطية ليست ضمانة مطلقة, بحماية حقوق الانسان وتقديم المصالح البشرية, لكنها الضمانة الافضل نسبيا. والديمقراطية تقدم للناس ايضا الطرق والوسائل لمكافحة البؤس المادي, على سبيل المثال من خلال التعددية الاجتماعية, والتجمع الحر, والتنظيم بالاعتماد على الذات. وتساعد الضوابط القانونية لسلطة الدولة المطلقة على تقليص سوء المعاملة بينما يساعد الحكم الذاتي على زيادة احترام الذات (22).

العلاقة بين الديمقراطية وهوية الدولة

لقد انتعشت الهويات الفرعية بعد اسقاط النظام السابق في العراق من قبل الولايات المتحدة الامريكية. سواء اكانت تلك الهويات عرقية او مذهبية او طائفية او جغرافية في البلاد, محاولة التسيد على الهوية الوطنية الجامعة, ونحن لا نقول ان العراق كان يعيش عصر المواطنة الذهبية اي شعور جميع المواطنين بانتماهم الى العراق, قبل عام 2003 م لكنها كانت اكثر تماسكا مما هي عليه الان على الرغم من ان بعض الشرائح الاجتماعية, كانت تتطلع نحو آفاق اخرى.

ومما لا شك فيه ان التعددية في العراق تعددية سلبية لانها, اما ان تقوم على الطائفية المذهبية, او الطائفية العرقية, او الطائفية السياسية, وهذه التعدديات تعمل بالضد من مفهوم المجتمع السياسي المدني. وهو المجتمع الذي يستدعي قيامه اضعاف الجوانب السياسية التعددية المجتمعية وبناء تقاليد تعددية ايجابية تسهم في بناء دولة حديثة ونظام سياسي مدني (23).

وهذا الامر يتطلب حتما قيام نظام عابر للثنيات والمذبهيات والعرقية والطوائف. نظام يحتوي الجميع ويعامل الجميع على قدم المساواة. وهذا لن يتأتى الا باتخاذ الديمقراطية منهاجا ونظاما للحكم. والديمقراطية لا تتحقق الا بوجود الحرية والمساواة, والحرية والمساواة متلازمان, فالديمقراطية تكون في الحرية والمساواة في



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

الحرية وليس في العبودية , فلا معنى للحرية السياسية بل وحتى الديمقراطية السياسية دون وجهها الآخر الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية .

ولم تقتصر الديمقراطية على ذلك بل كذلك اختيار المحكومين لحكامهم لكي يولد لديهم الشعور بان السلطة الشرعية تمثلهم⁽²⁴⁾. الا انها اي الديمقراطية ترتكز على فكرتين اساسيتين هما الفضيلة والعدالة كما يذهب الى ذلك الفيلسوف الاغريقي سقراط فالفضيلة تفيد المعرفة وهي بهذا المعنى تفيد التعلم والتعليم , واما العدالة فيرى انها تمثل احترام المواطنين للقوانين بمعناها العام ويترتب على ذلك نتيجة مهمة وهي سيادة حكم القانون وهي خضوع الجميع للقانون حكما ومحكومين .⁽²⁵⁾

ولكي لا يخضع الفرد الانفسه فلا بد من وجود حكومة الكل من الكل , اي حكومة الشعب من قبل الشعب , ومن اجل الشعب , وهذه هي الايديولوجية الديمقراطية , التي يجب التسليم بها . بحيث ان دولة ما تكون ديمقراطية , في حين يكون المحكومون فيها حكما في ذات الوقت⁽²⁶⁾ . لاستبعاد فكرة السلطة الاستبدادية فالديمقراطية هي نظام الحكم الذي ينزع الى الدخال الحرية في العلاقات السياسية بين من يأمر ومن يطيع .⁽²⁷⁾

ويمكن ان تعرف الديمقراطية من خلال سلطة الارادة الجماعية للمجتمع الذي يخضع لهذه السلطة . وهذه قاعدة اساسية اخلاقية مسلما بها . وهذا المعنى الاخلاقي للفكرة الديمقراطية له اهمية كبرى من الناحية السياسية حيث ان تأثيره على الضمانات الفردية لا جدال فيه⁽²⁸⁾ والقانون والهيبة التي يتمتع بها , هو استجابته للواقع الاجتماعي والاقتصادي والفكري لمرحلة تاريخية معنية عاشتها الديمقراطية الليبرالية في اوربا . وهذا ما جاء به الانسانيون , اذ اكدوا على تمثل فكرة المحافظة على دستور حر , يتمكن في ظلّه كل مواطن من التمتع بفرصة متساوية للانخراط الفعال في عمل الحكومة⁽²⁹⁾ .

وهنا لابد من القول ان الاحزاب والتنظيمات السياسية ناتج تطور اجتماعي , اقتصادي وثقافي , وهي تعكس مستويات هذا التطور لذلك من الصعب ان ينتج واقع متخلف احزابا متقدمة في تكوينها وتنظيمها , لان اعضاءها سيأتون من هذا الواقع حتى اكثر الاحزاب تقدمية في برامجها وخطابها السياسي , لانتجو من الممارسات المتخلفة على مستوى التنظيم والعلاقات داخل الاحزاب , اذ تتأثر بعلاقات اجتماعية تقليدية مثل العشائرية والقراية والجهوية⁽³⁰⁾ .



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

ولسد الثغرات وإعادة اللحمة الوطنية وبناء الديمقراطية بأقامة نظام سياسي يقوم على معايير النظام التعددي للحكم , للحد من عدم الشفافية , والقضاء على الفساد المنتشر وارساء العدل الاجتماعي لانه بدون ذلك لا تقوم الديمقراطية . ولا اساس لاي نظام يفتقد الى العدالة و الديمقراطية الاجتماعية .

ومما لاشك فيه ان الديمقراطية متغير اساسي لقياس قدرة التيارات والاحزاب على التعايش مع روح العصر . المتمثل بالتعددية والحريات العامة واحترام القانون (31) .

وانسجاما مع ذلك فان جوهر الديمقراطية حقوق سياسية واجتماعية وتعددية سياسية مع امكانية التداول السلمي للسلطة . انتقال السلطة من تيار فكري الى تيار فكري آخر ومن قوة سياسية الى اخرى ومن طبقة اجتماعية الى طبقة اجتماعية اخرى او من حزب سياسي الى حزب سياسي آخر بناء على اختيار حر من الشعب وهذا التداول جرى تحقيقه في العراق في الانتخابات التي جرت عام 2005 م والدورات الانتخابية التي تلتها الا انه لم يكن وفق السياقات الديمقراطية المعمول بها عالميا بان تلك الانتخابات جرت وفق معايير غير سليمة وظفت من خلالها الطائفة والعرق والمذهب في الحصول على الاصوات .

لكن وعلى الرغم من كل ما تقدم تبقى مسألة الديمقراطية مسألة تمنيات اذا لم تتوفر درجة من الوعي الاجتماعي والسياسي نتيجة لانتشار الامية , ونقص الخبرة وغياب الحرية والطبقة الوسطى المنتجة للنخب الواعية . مع طغيان العنصر الشخصي على العملية السياسية . كذلك ضعف التنظيمات السياسية الوسيطة من احزاب وجماعات ضغط . وبما ان بناء الديمقراطية يحتاج الى كوادرنيتها وتبناها , وهذه ولا بد وان تنبثق من طبقة متوسطة واسعة تتوجه نحو تقويم العمل السياسي والبحث عن الثروات المادية .

لان هذه الطبقة شغوفة بالرفاهية كما يذهب الى ذلك ايريك كيسلاسي (32) . ومهما يكن فان الاحزاب والتنظيمات السياسية مرآة للتطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي , لذا فمن الصعب ان تنتج بيئة متخلفة احزابا متقدمة في تكوينها وتنظيمها لان اعضائها سياتون من هذا الواقع . حتى ان اكثر الاحزاب تقدمية في برامجها وخطابها السياسي لاتنجو من الممارسات المتخلفة على مستوى التنظيم والعلاقات داخل الاحزاب , اذ تتأثر بعلاقات اجتماعية تقليدية مثل العشيرة , والاسرة والجهوية , والاقليمية (33) .



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

وتشكيلة اي نظام سياسي لا ترتقي الى توصيف النظام الديمقراطي الا بعد ان تكون فعلا معبرة عن البعدين السياسي والاجتماعي للمساواة . فالسياسي يعني المساواة امام القانون . والاجتماعي يعنى توفير الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تمكن المواطنين من ممارسة الحرية والمشاركة السياسية (34) .

والمثل الاعلى للديمقراطية يتجلى بالحرية والمساواة والمشاركة وان الابتعاد عن هذه الابعاد هو ابتعاد عن الديمقراطية . ولا حرية بدون حد ادنى من المساواة السياسية والعدل الاجتماعي ولا مساواة حقيقية دون مشاركة او حرية , ولا مشاركة في غياب الحرية (35) .

وعند معالجة مسألة الديمقراطية في العراق فاننا سنصطدم بوقائع صعبة , اذ يصعب على المؤسسات العراقية الوليدة ان تبني دولة ديمقراطية لان المجتمع العراقي قد تم تشظيته من قبل الاحزاب والفئات ذات التوجهات الطائفية والعرقية . مع غياب مؤسسات المجتمع المدني , وغياب شبه تام لدور الطبقة الوسطى التي غابت عن المشهد السياسي , وتصدر الفئات التي ليس لها باع طويل في العمل السياسي .

وهنا لابد من اعطاء كل مكون من مكونات المجتمع الاهتمام الذي يستحقه في المداولات السياسية , وعدم تعريض اي واحد الى الكبت والعزل او التجاهل من قبل صوت الاكثرية الطاغية , لقد اصبح احترام الاقليات محكا لاختبار مصداقية الديمقراطية .. بعد ان فشلت النخب السياسية في معظمها في بناء قاعدة للتوافق الذي يسمح بتوليد قواعد جديدة تعمل على تقدم العملية السياسية في العراق . كما ان تقاسم المناصب السياسية لم يكن مرتبطا بنتائج الانتخابات بقدر ارتباطه بارتباط الطوائف والمجموعات العرقية . مما ادى الى بروز المشروع النخبوي السياسي للمحاصصة الطائفية التي حكمت العراق بعد الاحتلال . ولاصلاح ذلك الخلل الذي اكتنف العملية السياسية ولوضع العراق على الطريق السليم فان ذلك يتطلب ايضا بذل اقصى الجهود لتصحيح الخلل الذي يكتنف بعض مواد دستور 2005 م من خلال اعادة النظر في بعض مواد التي تثير التأويل والشك او يتم توظيفها بسبب امكانية استخدامها على اكثر من وجه . (36)

كذلك تصادف الحكومة مشكلة اخرى هي مشكلة الاقاليم التي قد تفجر الوضع في العراق , فالمادة 115 من دستور 2005 م ترتبط بصراع كامل حول النفط , فالثروة النفطية تتركز في المحافظات الشمالية بنسبة 20%



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

, وفي المحافظات الجنوبية 80% . وهذا سيؤدي عند البعض الى افكار المحافظات الوسطى .

كما ان الحكومة الحالية قد ورثت عبئا كبيرا من الحكومات السابقة , كالفشل في تحسين الوضع السياسي والامني من خلال اتمام المصالحة الوطنية , وكذلك الفشل في تحسين الوضع الاقتصادي والخدمي في البلاد . كما ان استمرار هشاشة الوضع الامني , يؤكد ضعف ولاء عناصرها واختراقها من قبل الميليشيات المسلحة (37) .

وتواجه العراق ثلاثة اخطار امنية داخلية الخطر الاول وجود تنظيمات عسكرية مسلحة وميليشيات غير منضبطة والخطر الثاني هو امكانية تحول التوترات الطائفية والاثنية العرقية الى حالة من العنف بدلا من ان تحل بالوسائل السياسية والخطر الثالث المتمثل بوجود العامل الخارجي الذي يتدخل في الشأن الداخلي العراقي سواء من دول الجوار او الاطراف الاجنبية الاخرى . كل هذه العوامل لابد من ايجاد طريقة سلمية نسبيا لحلها والعودة الى حالة الاستقرار والتطور . وهذا يتأتى من خلال نجاح الحكومة العراقية في بناء القوات الامنية العراقية على اسس وطنية مهنية .

بناء الاقتصاد .. استثمار في الديمقراطية .

ان التصدي لاشكالية الاستقرار السياسي والامني في بلد مضطرب مثل العراق , وبهدف ايجاد حلول لوضع البلاد المستعصي على الحل الى الان , لابد من التصدي للبحث في العناصر اللازمة لبلورة ارضية ملائمة لاعادة الاستقرار الى البلاد , وهذا لا يقتصر على بناء امني متكامل يكون القانون بنانه الاصلي فحسب بل بناء اقتصاد محكم , باحداث تنمية شاملة تنتشل هذا الاقتصاد الواهن , وبنائه على اسس سليمة .

وهنا لابد من الاشارة ولو باختصار الى ان الاقتصاد العراقي الذي يمتلك ثاني اكبر احتياطي نفطي في العالم , فهو اقتصاد ريعي معرض للهزات الاقتصادية الدولية . كما ان هذا الاقتصاد لم يوظف لخدمة المجتمع , وتحسين مستوياته بل ووظف لخدمة الحكام وتحسين صورهم وربط الشعب ومعيشته بهم , وكانت الدولة ممثلة بحكامها هم من يسيطرون على كافة قطاعات الاقتصاد , لذا كان الاقتصاد لاسيما (النفط) قد اسهم في تجذير تبعية المواطن للدولة او للحاكم , لان الدولة والحاكم كمفهوم تكاد تكون متطابقة , وكما ان البناء القانوني السليم للدولة يسهم في ترصين الوحدة الوطنية , ويكون المدخل الحقيقي لاستقرار البلاد . فكذلك هو الحال مع الاقتصاد فلكي تجعل البلد مستقرا , ووحدته الوطنية مصانة , وتكسب



الديمقراطية واعداء بناء المواطنة

المواطن وتجعله متعلقا روحا وجسدا بوطنه وان تجعله يشعر باحترام ذاته من خلال توفير مستلزمات الحياة الكريمة له ولاسرتة .

وترابط التنمية الاقتصادية مع الخيمة الامنية للمجتمع سيكونان المدخل الحقيقي لاستقرار البلاد . ان عمليات اعاقه عمل الحكومة و تعطيل فعاليات الاقتصاد سواء كان ذلك ناتج من البيئة الداخلية العراقية او بفعل عوامل خالرجية ستكون عقبة تهدد مستقبل التحول الديمقراطي والعملية السياسية برمتها .

فعجز الحكومة عن تحقيق بيئة مسالمة وواعدة بنمو اقتصادي واستقرار امني , نقول ان عدم تحقيق ذلك سيفضي الى عجز وتذبذب في معظم القطاعات الاجتماعية والاقتصادية .

فهاجس الامن اثر على معظم تلك القطاعات . واضغف نمو القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي وشوه التنمية لبناء مجتمع مدني قوي ومفتوح (38)

وكان من المتوقع ان يؤدي نمو الدخل والطاقت البشرية المعززة التي شهدها العراق قبل الثمانينات من القرن الماضي الى تشجيع الديمقراطية ونمو المجتمع المدني, لكن الملفت للنظر ان الامر كان على عكس المتوقع , لقد اعاق النفط والصراعات الداخلية والخارجية اعاقت الديمقراطية فقد حلت ريوغ النفط في العراق محل الضرائب في رفد مالية الحكومة حيث ادى ذلك الى تحرر الحكومة من المحاسبة والمساءلة الى درجة مكنتها من ان تصبح مستقلة عن المجتمع , واطلقت يدها في ان تعزز قدرتها على استيعاب او قمع خصومها السياسيين , وهناك شبه اجماع على ان الريوغ من الموارد الطبيعية لها تاثير سلبي على عملية الديمقراطية (39) .

لكن هذا ليس بالضرورة يشمل جميع الدول النفطية فهذه الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والنرويج وهي جميعا دول نفطية لكن هي من ارقى الدول التي لديها اقتصادات قوية توظف لصالح المجتمع كما ان الريوغ المتأتية من النفط لم تفترس الديمقراطية كما هو الحال في دول العالم الثالث لانها دول مؤسسات وليست دول صنية .

ولم يزل الاداء الحكومي في العراق غير فعال في الوفاء باحتياجات المواطنين الاساسية كالامن والخدمات والصحة والطاقة والنقل والبطالة حيث اظهرت التقديرات الاخيرة ان تسبة البطالة 30 % من القوى العاملة , وتسيطر الميليشيات والمنظمات الاجرامية على مقادير مهمة من الثروة النفطية والتي انتعشت منذ التسعينات من القرن الماضي والسنوات الاولى



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

بعد عام 2000 حيث تسيطر على الثروة النفطية في مناطق مختلفة من البلاد كما ان تكلفة حرب الخليج الاولى كانت مرهقة للاقتصاد العراقي اذ بلغت اكثر من مائة مليار دولار .

وكذلك العقوبات التي فرضتها الامم المتحدة على الاقتصاد العراقي والتي امتدت من 6 آب 1990 حتى 21 نيسان 2003 , مع اعتماد برنامج النفط مقابل الغذاء الذي بدأ تطبيقه عام 1996 واستمر لستة دورات تخلل هذا البرنامج فسادا اداري حيث تورط موظفون كبار في الامم المتحدة في قضايا رشوات واختلاس . وكانت الامم المتحدة تستقطع 28 % من اموال صادرات النفط لحساب موظفيها والعمليات الادارية المتعلقة ببرنامج النفط مقابل الغذاء (40) . ورغم انجازات البرنامج فلقد استمرت حالة التدهور الصحي اذ لم يلب البرنامج اذا حاجات العراق في مجالات عديدة اهمها الدواء والمعدات الصحية و اشار تقرير الامين العام للامم المتحدة عام 1999 م اشار الى الزيادة الكبيرة في عدد العقود التي علقها لجنة العقوبات التابعة للامم المتحدة واغلب هذه العقود كان متعلقا باعادة بناء البنية التحتية التي دمرتها القوات الامريكية والبريطانية عام 1991 م . مما ادى الى استمرار تدهور الوضع الاقتصادي وازدياد اعباء وتكلفة الامور الحياتية للمواطن العراقي وبالتالي الى تدهور الاقتصاد في شتى المجالات .

ومن جانب آخر ادى استمرار الفساد المالي والاداري و العجز الحكومي في التصدي له ادى الى ازدياد التضخم المالي وزيادة اعباء ميزانية الدولة . حيث ما تم اكتشافه من رواتب وهمية في وزارتي الدفاع والداخلية للموظفين الوهميين (الفضائيين) مثل 10 مليار دولار وهذا الرقم يساوي ما نسبته 10% مما تم كشفه (42).

وفي بلد نفطي اصبح فيه معدل البطالة 30 % من حجم القوى العاملة من الشعب . اذ يعيش تحت خط الفقر وتردي الخدمات مع تقديرات صندوق النقد الدولي بنمو الاقتصاد العراقي بنسبة 2 % . بعكس ما ذكره وزير التخطيط السابق علي شكري بان العراق حقق نموا اقتصاديا يصل الى 9 % مستندا في ذلك الى بيانات واحصائيات قامت بها الوزارة في جميع القطاعات الاقتصادية عام 2012 (43).

ومما لاشك فيه ان المواطن في الدول ذات الاقتصاد المأزوم سوف لا يفكر في الديمقراطية وكيفية اقامتها ولاتهمه الانتخابات بقدر ما يهمله هو كيف يدفع عن نفسه وعائلته غائلة الجوع . وان وفرت له السلطات وظيفة فانه سيعطي صوته لها , وسيصل الى البرلمان ممثلو احزاب الحكومة



الديمقراطية واعادة بناء المواطنة

الذين يفكرون في مصلحة احزابهم وجيوبهم . اي ان الدولة تشتري ولاء المواطن بتوظيفه .

اذن فالاقتصاد العراقي الريعي بحاجة الى ثورة جذرية , تتطلب شجاعة ومقدرة من القائمين عليه .. وصولا لتعزيز الديمقراطية من خلال تقوية الاقتصاد وتنويع مصادره . باعتماد ما يلي :

أولا يرى بعض الاقتصاديين ان حل معضلة الاقتصاد العراقي يبدأ ببناء نظام ضريبي ناجح يبدأ من القطاع النفطي بعد فصل الشركات النفطية المنتجة والمسوقة في وزارة النفط اداريا وماليا .

وكذلك اعادة احياء شركة النفط الوطنية كشركة قابضة تشمل كل شركات الانتاج والتسويق .

ثانيا تحفيز القطاع الزراعي والاستثمار فيه لانه اسرع القطاعات التي تستطيع رفد ميزانية العراق بمردودات مالية لا يستهان بها . وذلك يجعل السلع المستوردة اعلى سعرا من المنتج المحلي مما سيثجع الفلاحين على تحريك الاقتصاد , والحفاظ على العملة الصعبة التي يجري الشراء بها من الدول الاقليمية والعالمية لتغطية ما يحتاجه السوق المحلية من مواد ومنتجات زراعية يستطيع القطاع الزراعي انتاجها محليا وبكلف تنافسية .

ثالثا كما سيسهم القطاع الصناعي الذي لم تزل البنية التحتية له ضعيفة . وتحتاج الى زمن طويل للتحفيز , ومردودها الايجابي سيكون بعد وقت طويل الا انه من المهم البدء باعادة الحياة اليه بعد ان توقف 100 الف مصنع من اصل 140 الف مصنع .

رابعا تبني رؤية جديدة , بترك الاليات القديمة , وانشاء مجلس اعلى للاعمار , للتصدي للفساد وتحويل الثروة النفطية الى ثروة بشرية (44) . ومن المنتظر ان العراق سيحقق نسبة نمو تقدر بحوالي 6 % بعد وقف الفساد , كما ان تاخر اقرار الموازنة لهذا العام (2015 م) قد اسهم في الركود الاقتصادي وشحة السيولة النقدية , وزيادة العرض وقلة الطلب وفقدان 40 % من اسعار النفط قد وجه ضربة قوية للاقتصاد العراقي (45) . مع اختفاء 90 مليار دولار من موازنة العام الماضي . ان اسوأ ما في الموازنة في الدول انها تعتمد على اقتصاد وحيد الجانب , ان تحقيق التنمية في العراق اعتمد على الثروة النفطية بشكل يكاد ان يكون كليا تقريبا . وهذا يؤكد الطابع الريعي للاقتصاد العراقي وهذا معناه ارتباط نظرية الدولة بالحكم الاوتوقراطي . وتذهب الفرضية الاساسية الى ان قدرة الدولة على انتزاع الرئوع من بيع السلع ذات الطلب العالي تسمح لها



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

بالإلتفاف على الجماهير عموما كمصدر للإيرادات , وبالتالي تجاهل الضغوط الهادفة للإصلاح والتغيير السياسي .

والسؤال الذي يبدو منطقيا هل ان تحقيق مستوى عال من النمو الاقتصادي يشجع على تعزيز الديمقراطية ؟ وهل ان الاضطراب الامني مدعاة لهروب الاستثمارات الداخلية والخارجية عن العمل في البلاد (46) .

ومهما يكن فان هناك بعض المؤشرات تصب في تعجيل او تعويق التنمية , كدخل الفرد , ومستوى التعليم , والرعاية الصحية ومؤشرات اخرى للتنمية , فزيادة الدخول تحفز الطلب على الديمقراطية كذلك مستوى التعليم والسلوك الاجتماعي(47).

ويرى بعض الاقتصاديين ان السماح للقطاع الخاص بالعمل بحرية يتوقف على ان تبدي الدولة سيطرة قانونية دائمة على الشركات الخاصة , لكي لا تتحكم في السوق برغبتها , فالسوق يعد ملكية عامة , وهو قوة الدولة فالسوق يقتضي سيادة حالة متوازنة من القوة بحيث لا يستطيع فيها فرد او مجموعة افراد او شركة ممارسة قوة ذات طبيعة عامة وان لا تفضي الخصخصة الى سيطرة المنتفعين على ممثلي السلطة الرسمية للدولة .

اذن فالخصخصة المقبولة فقط كلما كان الاقتصاد مقسما الى وحدات صغيرة وتعدد المستثمرين وتنوعهم , وان لا يتم تحويل الارباح المنتجة من العمليات الاقتصادية المحلية الى خارج البلاد .

وهنا لابد من التأكيد على المنطق الشامل للتدخل الاقتصادي والاجتماعي على ارادة المجتمع المتساوين فعليا قدر المستطاع لكي نستطيع تصحيح اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية , فتقليص اللامساواة يؤدي الى توافق اجتماعي وهذا بدوره يؤدي الى نوع من الانسجام مع النظام السياسي (48) .

اما نشوء القطاع الخاص ونشاطه الباحث دائما عن الربح سيرفد اقتصاد البلاد بالسلع والخدمات اولا ومن ثم سيخفف العبء عن الدولة , اي الاقلال من تبعات الوظائف التشغيلية التي تتقل كاهل الميزانية , وان التوظيف والعمالة في القطاع الخاص سيحرر هذا القطاع من التبعية للدولة سياسيا . وبالتالي سيحقق لهؤلاء حرية , حرية الرأي وتصبح الديمقراطية اكثر رسوخا .

ان مقتل الديمقراطية في العالم العربي مبعثه اختزالها بمجرد انتخابات وبرلمانات . ومهما يكن فان الاقتراب من فهم حقيقي للديمقراطية يفضي



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

الى توفير الاسس المادية لها , لاسيما الوضع الاقتصادي , وتحرير الاسواق المحلية امام المشاركين وتوفير السبل القانونية لهم (49) .
 وفي الختام لابد من الاعتراف بان الديمقراطية اصبحت مسألة لا غنى عنها لدى الشعوب لاسيما الشعوب العربية , وانها تمثل حاجة شديدة الالحاح . ولم تعد سلعة غريبة او فرضت بوصاية امريكية . فلابد والحالة هذه من اضعاف طابع مؤسسي عليها بعد ان اصبحت ضرورة ملحة .
 ان ذلك يتطلب ضرورة الارتقاء بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يتحتم اجرائها عبر هذا الطريق اي باعتماد الديمقراطية كمنهج للنظام السياسي , بشقيها السياسي والاقتصادي ويتم ذلك من خلال بناء ثقافي , وزرع ثقة المواطن بالديمقراطية وممارستها كقيمة مستقرة في ضمائرهم وتصرفاتهم .
 وفي حالة استقرار الديمقراطية في البلاد فان المواطنة وقيمها ستعزز . كذلك تعزز من خلال تقديم الخدمات للمواطن باعتباره قيمة عليا والتي تشمل الاتفاق على التعليم والصحة وتوفير الامن وهذا سيجعل الجميع يشعرون بالانتماء الى العراق.

المصادر

- 1_ مجموعة مؤلفين المجتمع العراقي : حفريات سوسولوجية , في الاثنيات في الطوائف والطيقات , ط1 , معهد الدراسات الاستراتيجية الفرات للنشر والتوزيع , بغداد - بيروت . 2006 م . ص . 342- 343 .
- 2_ مجموعة مؤلفين - المجتمع العراقي - المصدر السابق ص 343 .
- 3_ المصدر السابق ص 221 - 223 .
- 4_ الشيخ ضياء الشكرجي وآخرون - مثلث الاسلام والديمقراطية والعلمانية ص 79 .
- 5_ مجموعة باحثين التسامح ومنابع اللاتسامح , مجلة قضايا اسلامية معاصرة - مركز دراسات فلسفة الدين العددان 28 - 29 صيف وخريف . 2004 م ص 142 - 145 .
- 6_ د . هشام شرابي - النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي , ط2 , مركز دراسات الوحدة العربية بيروت - لبنان - 1993 م . ص 26 .



الديمقراطية و إعادة بناء المواطنة

- 7_ د . هشام شرابي النظام الابوي - المصدر السابق ص 148 ويمكن الرجوع الى د . عبد الكريم سروش , والصراعات المستقيمة , التعددية الدينية بين النفي والاثبات , مجلة قضايا اسلامية معاصرة ,
- 8_ د . مصطفى بن حمزة - في مقدمة - كتاب - نظرية التعليل في الفكرين الكلامي والاصولي ط1 . تقديم عبد النور المعهد العالمي للفكر الاسلامي ط1 - فرجينيا - الولايات المتحدة . بيروت . لبنان 1432 هـ - 2011 م . ص 9 .
- 9_ د . مصطفى بن حمزة - نظرية التعليل في الفكرين الكلامي والاصولي . المصدر السابق ص 10 .
- 10_ د . عبد الجبار احمد عبد الله - العالم الثالث بين الوحدة الوطنية والديمقراطية ط1 بغداد - 2010 م ص 302 .
- 11_ د . منذر الشاوي , فلسفة الدولة , ط2 - الذاكرة للنشر والتوزيع , بغداد - العراق - 2013 م . ص 576 - 577 .
- 12- د. منذر الشاوي فلسفة الدولة - مصدر سابق - ص - 576
- 13 - المصدر السابق - ص - 576
- 14- المصدر السابق - ص - 576
- 15 - مجموعة مؤلفين ، المجتمع العراقي ، حفريات سوسولوجية - مصدر سابق 223 - 224
- 16- مجموعة مؤلفين ، المجتمع العراقي ، حفريات سوسولوجية ، مصدر سابق- 343 -
- 17- المصدر السابق 221-223
- 18- المصدر السابق ص-224
- 19- المصدر السابق نفس الصفحة
- 20- مارسيل غوشية ، الدين في الديمقراطية ، ط 1 - تعريف د. شفيق محسن ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت . 2007 م ص- 159 .
- 21- المصدر السابق ص- 160
- 22- المصدر السابق ص- 160
- 23- المصدر السابق ص- 161 .
- 24- د. منذر الشاوي ، فلسفة الدولة مصدر سابق ص- 576- 577 .
- 25- د. منذر الشاوي ، تاملات في فلسفة حكم البشر ، ط . الذاكرة للنشر والتوزيع بغداد . 2013 م ص- 14 .
- 26- المصدر السابق ص- 15 .
- 27- د. منذر الشاوي ، فلسفة الدولة ، مصدر سابق ص- 577 .
- 28- المصدر السابق ص- 577 .
- 29- منذر الشاوي ، تاملات في فلسفة حكم البشر ، مصدر سابق ص- 14- 15 .
- 30- وحيد ابراهيم علي . التيارات الاسلامية وقضية الديمقراطية ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت . 1999 ص/ 20- 202 .
- 31- المصدر السابق ص- 202 .
- 32- المصدر السابق ص- 202 .
- 33- ايريك كيسلاسي ، الديمقراطية والمساواة . ط1 - ترجمة جهيدة لاوند ، معهد الدراسات الاسلامة ، بغداد-بيروت 2006م ص- 66- 67 .
- 34- شفيق بومنجل ، هوية الدولة والمسألة الديمقراطية في الوطن العربي في الدولة الوطنية المعاصرة ازمة الاندماج والتفكيك ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، 2008 م ص- 92 .
- 35- المصدر السابق ص- 92 .



- 36- شفيق بومنجل ، ازمة الاندماج والتفكيك ص 92 .
 37- راجع مواد الدستور العراقي عام 2005 .
 38- راجع مواد الدستور العراقي عام 2005
 39- راجع مواد الدستور العراقي عام 2005
 40- مجموعة من الباحثين ، الدولة الوطنية المعاصرة . مصدر سابق ص-13 .
 41- المصدر السابق نفسه .
 42- مجموعة باحثين ، تفسير العجز الديمقراطي في الوطن العربي ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 2011م ص- 350 .
 43- ويكيبيديا .
 44- مجموعة من الباحثين ، العراق تحت الاحتلال ، تدمير الدولة وتكريس الفوضى ، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 2008م ص- 248 .
 45- المصدر السابق ص- 248 .
 46- نفس المصدر .
 47- المصدر نفسه .
 48- المصدر نفسه ص- 249 .
 49- مجموعة باحثين ، تفسير العجز الديمقراطي في الوطن العربي . ص-350 -351.